

الطبيعة والانسان

لفيكتور هوغو

شمسُ هذا النهار قد غربت في أفقها خلف مكفهر السحاب
وغداً تعصفُ الرياح، ويأتي بعد ذلك الظلامُ داجي الاهاب
ويلي الفجرُ بعد ذلك مضيئاً مُرسلاً نوره خلال الضباب
فنهاري، فليلة — خطواتُ الدهرِ والدهرُ ممعن في الذهاب

سوف تمضي هذي الدهورُ جميعاً سوف تمضي معاً لغير مآب
سائراتٍ على جباهِ الرّوايِ ووجوه البحار ذات العُباب
ومياهِ الأنهارِ وهي جوارٍ لامعاتٌ مثل اللجين المذاب
وعلى الغاب وهو يدوي بأرواح الألى قد قُضوا من الأحباب

وستبقى وجوه تلك الأواذي وستبقى جباهُ تلك الهضاب
البوادي الغضون لا عن مشيب أو فتورٍ في غفوان الشباب
وستبقى بواسق الغاب ذات الـ خضرة المستمرة الجلاب
سوف تبقى على الزمان جميعاً في شباب مجدّدٍ وتصابي
وستبقى الأنهارُ تحمل من تلك الرّبي ما تلقى به في العُباب

ذاك، أمّا أنا فما أنا يحني كل يوم رأسي ويوهن قاني
وقشعريرة البرودة تحت الشمس أمست تدب في أعصابي
وسأقضي نحي وشيكا سريعا وسط عيد الطبيعة المطراب
وسأمضي، فلا يضير مضيي ذلك الكون أو يحس غيابي
نخري أبو السعود

الحياة لنستطيع ان نحيا، وفيحاب النشاط والحركة وكره السكون
حتى تعمل. وفينا الجانب الحيواني بكل غرائزه لنستطيع أن نعمل. وفينا
العقل لنفهم كيف تعمل والى غاية نسير، وفينا الضمير ليؤنبنا
وليحاربنا اذا ما حاولنا الحياد عن الغاية المرسومة لنا. وفينا غريزة
النسل لتخرج ذرية أقوى تستطيع أن تتمم ما تريده الحياة اذا ما
ضعفنا أو متنا.

يعد تولستوى الشفاء الذي نشعر به نتيجة طبيعية لمخالفتنا
ضمايرنا التي تفهم وحدها الغرض الوحيد من الحياة. وتنبهنا
كلما حدنا عن الطريق المستقيم، وهذا الشفاء داع الى تفكيرنا في
أنفسنا. والى شعورنا بالحياة وغرضها.

ويعلل تولستوى الحيرة والقلق اللذين يستوليان على المرء بأنهما
نتيجة لأهماله واجبه المقدس في الحياة، واغفاله العمل، أو لمقته
الآخرين وترك معونتهم. وهذه الحيرة نفسها خطوة أولية نحو
الشعور بالحياة والتأمل فيها والوصول الى فهمها.

وهو يرى في العقيدة والايان ملجأ حصينا من الشك والتورط
فيه. اذ العقيدة النيرة الحية البعيدة عن التعصب. هي التي تدفعك
الى العمل وحب الغير وتجعلك طفلا فرحا سعيدا وهي التي تجعلك
هادئا قريير العين بالحياة.

قد تقول ان هذا شيء تعرفه. وانه لم يأتك بجديد. ولكن
تولستوى لم يحاول ان يبهرك براء غريبة تضعها بين آلاف الآراء،
ولم يحاول أن يتحفك بطريف الأفكار. بل أراد أن يرشدك الى
منهاج السعادة في الحياة وهو منهاج عملي جربه بنفسه فنجح فيه
نجاحا باهرا.

أحب جارك. أحب لكل انسان ما تحبه لنفسك؛ اعمل لغيرك،
ففي كل هذا سعادتك.

لا تقل ان غيرك لا يعمل لهذا، فليس معنى تقصيره أن تقصر
أنت، ولا تسأل لماذا تكون أنت الوحيد الذي يخطط لنفسه هذا الطريق،
بل اعتقد ان الناس لابد صائرون اليه، وأن لا مزية في أنهم
منتهمون الى اتباعه. فلماذا لا توفر على نفسك شقاء؟ ولماذا تضن على
نفسك بالطمأنينة والسعادة؟

ذلك جانب من فلسفة تولستوى. وهناك جانب آخر عاجل
الرجل فيه المجتمع ومساوئه، وموعدا به عدد قادم.

شهادي عطيه الشافعي

خريج قسم الاجتماع والفلسفة من الجامعة المصرية